منشورات المركز
(المقال رقم: 6/ 2021م)

مركز العمران الحضاري للثقافة والعلوم
Al-'Umran Civilization Centre for Culture and Science

مناهج التعامل مع مصادر السيرة النبوية

ذ. سمير مرداس
باحث بسلك الدكتوراه
جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
أكادير/ المغرب

بريد المقالات والبحوث
بمركز العمران الحضاري للثقافة والعلوم
alumran.articles@gmail.com

الصورة الشخصية:

سيرة موجزة:

ذ. سمير مراد

المؤهلات العلمية		
السنة	المؤهل العلمي	المؤسسة
2012	شهادة الباكلوريا	ثانوية السعادة آيت ملول
2015	شهادة الإجازة بميزة حسن	كلية الشريعة والقانون آيت ملول
2018	شهادة الماستر بميزة حسن	جامعة القاضي عياض مراكش
2018	باحث بسلك الدكتوراه	كلية الآداب جامعة ابن زهر
الخبرات الشخصية:		
حاصل على شهادة في علوم التربية وديداكتيك التربية الإسلامية بأكادير		
حاصل على شهادة في البيداغوجيا وعلوم التربية بمراكش		
حاصل على شهادة في تقنيات معالجة نصوص الوورد بأكادير		
مؤطر تربوي بمجموعة من الجمعيات		
حافظ لكتاب الله تعالى + محفظ القرآن ومدرس التجويد والسيرة بمجموعة من الجمعيات		
حاصل على الرتبة 1 في المباراة الوطنية الجامعية في الحديث والسيرة النبوية بالرباط		

مناهج التعامل مع مصادر السيرة النبوية

تمهيد:

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد؛

لما كانت كتب السيرة النبوية منذ بداية التدوين إلى يومنا هذا عزيزة الحصر، بين منثور ومنظوم، اقتضى ذلك من الباحثين في العلوم الشرعية عموما، ومنا معشر الباحثين في السيرة النبوية على وجه الخصوص، معرفة المصادر التي كَتبت السيرة، وأنماطَ التأليف التي دأب عليها علماء هذا الفن من جهة، ومن جهة أخرى لزِمَ الاستبصار بمنهج التعامل مع هاته المصادر المتنوعة في نمط التأليف، فكل مؤلِّف إلا وله منهج خاص به.

لأجل هاته الغاية جاء هذا البحث المعنون له بـ: "مناهج التعامل مع مصادر السيرة النبوية"، وقد جعلت خطته كالآتي:

مقدمة:

- المحور الأول: التعريف بمفاهيم البحث (المنهج/ السيرة).
- المحور الثاني: مصادر السيرة النبوية (الأصلية/ الثانوية).
- المحور الثالث: أنماط التأليف في السيرة النبوية.
- المحور الرابع: المناهج العامة في التأليف في السيرة النبوية (المحدثين/المؤرخين/منهج الجمع/ المستشرقين).
- خاتمة ونتائج.

المحور الأول: التعريف بمفاهيم البحث (المنهج / السيرة)

1. تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح:

أولا: المنهج في اللغة:

المنهج أو النهج أو المنهاج بمعنى واحد، من نهَج يَنهَج أي: سلك طريقة معينة، وتعني الطريق أو السبيل الواضح المحدد، الذي يسلكه الباحث قصد الوصول إلى مقصده، جاء في لسان العرب: «طريق نهْجٌ: بين واضح، وأنهَجَ الطريقُ: وضُح واستبان، ونهَجت الطريق أبنته وأوضحته»[1]، وقال في المصباح: «نهج الطريق ينهج بفتحتين نهوجا وضح واستبان»[2].

وفي التنزيل: "لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً"[3]، وفي الحديث: «وترككم على حجة بينة، وطريق ناهجة»[4]، أي: واضحة بينة.

ثانيا: المنهج في الاصطلاح:

«هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة»[5].

وقيل: «هو مجموع القواعد والشروط التي يجب مراعاتها عند معالجة أي حدث تاريخي، سواء بالكتابة والتأليف، أم الدراسة والتعليم، وهذه الشروط تتناول الكاتب ذاته، كما تتناول المصادر التي يستمدّ منها، كما أنها تعنى بالغاية والهدف من الدراسة والكتابة، وتعنى كذلك بالأسلوب والمصطلحات»[6].

---

[1] لسان العرب، لابن منظور، (نهج): 383/2.

[2] المصباح المنير، للفيومي، (ن ه ج): 627/2.

[3] سورة المائدة، الآية: 48.

[4] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب المغازي، باب بدء مرض النبي ﷺ، 433/5.

[5] مناهج البحث العلمي، لعبد الرحمن بدوي، ص: 5.

[6] منهج كتابة التاريخ الإسلامي، للدكتور محمد بن صالح السلمي، ص:87.

2. تعريف السيرة في اللغة والاصطلاح:

أولا: السيرة لغة[1]:

مادة (السين والياء والراء) أصل يدل على مضيّ وجريان؛ يقال: سار يسير سيرا، والجمع سير، مثل سدرة وسدر[2]، والسيرة في اللغة لها معان عدة، فتطلق ويراد بها الطريقة في الشيء، لأنها تسير وتجري، يقال: سار الوالي في رعيته سيرة حسنة وأحسن السير.

والسيرة: الهيئة، وبها فُسّر قوله تعالى: "سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلأُولىٰ"[3]، قال الكفوي: «السيرة فعلة، من السير، تجوز بها للطريقة والهيئة»[4].

وسيَّر سِيرة: حدّث حديث الأوائل، وتطلق ويراد بها الهدي، وقد يراد بها الضرب من السير، كما يراد بها السنة، ومنه قول خالد بن زهير لأبي ذؤيب:

فَلاَ تجزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا فَـأَوَّلُ رَاضٍ سُـنَّة مَـنْ يَسِـيرُهَا[5]

وتطلق السيرة ويراد بها طريقة سير الإنسان في هذه الحياة، ومعنى سيرة فلان: طريقته ومسيرته وما كان عليه شأنه في حياته.

قال الجرجاني: «السِّير جمع سيرة، وهي الطريقة، سواء كانت خيرا أوشرا»[6].

ثانيا: السيرة اصطلاحا

السيرة عند المحدثين جزء من الحديث، حيث إن من ألف في كتب الحديث يفرد للسيرة بابا ضمن الأبواب يسميه "المغازي والسير"، فهي عندهم: ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة

---

[1] ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (سير): 389/4. القاموس المحيط، للفيروزآبادي، (س ي ر): 412/1.

[2] المصباح المنير، للفيومي، (س ي ر): 299/1.

[3] سورة طه، الآية: 21.

[4] الكليات، للكفوي، ص:514.

[5] البيت لخالد بن زهير، ابن أخت أبي ذؤيب، لسان العرب، لابن منظور، (س ي ر): 390/4.

[6] التعريفات، للجرجاني، ص:106.

خِلقية أو خُلقية، سواء قبل البعثة أو بعدها، أما عند مؤرخي السيرة فهي علم تعرف به أحوال النبي ﷺ بكل ملامحها وتفصيلاتها[1].

وإذا أطلق لفظ "السيرة" إنما يراد به ترجمة حياة النبي ﷺ، بحيث أصبحت علَما على علم قائم بذاته هو علم السيرة. وقد كان المؤرخون في فترة أسبق يطلقون على علم السيرة "علم المغازي والسير"، يبين هذا ما أورده محقق سيرة ابن هشام بقوله: «لفظتا «المغازي والسير» إذا أطلقتا فالمراد بهما عند مؤرخي المسلمين تلك الصفحة الأولى من تاريخ الأمة العربية: صفحة الجهاد في إقامة صرح الإسلام وجمع كلمة العرب تحت لواء الرسول ﷺ، وما يضاف إلى ذلك نشاط النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر آبائه، وما سبق حياته من أحداث لها صلة بشأنه وحياة أصحابه الذين أبلوا معه في إقامة الدين»[2].

فالسيرة إذا والسنة أمران متلازمان تلازم الليل والنهار، وقد وردت السنة مرادفة للسيرة في القرآن في مواضع منها: قوله تعالى: "سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَا "[3]، وقوله: "سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾"[4]، وفي الحديث: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء، المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»[5].

المحور الثاني: مصادر السيرة النبوية

تمتاز السيرة النبوية بشمولها وتفردها، وإن من تمام ذلك استنادها إلى مصادر متنوعة، وأول ما ينبغي أن يلتفت إليه الباحث أن هذه المصادر متباينة في الدرجة، وعليه فإنه لا ينبغي حملها على السواء، ومن حفظ الله تعالى لسيرته أن هيأ لها جهابذة عُنُوا بحفظ أصولها الأولى ومصادرها الأصلية، وقد اختلف كتبة السيرة المحْدَثِين في عددها وترتيبها، وعموما فالمصادر قسمان: (أصلية وفرعية)، وهي كالآتي:

أولا: المصادر الأصلية:

[1] ينظر: الحوار في السيرة النبوية، للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، ص:27، بتصرف.

[2] مقدمة تحقيق سيرة ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ص:3.

[3] سورة الإسراء، الآية: 77.

[4] سورة الفتح، الآية: 23.

[5] أخرجه أبو داوود في سننه من حديث العرباض بن سارية، أول كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم: 4607، 16/7.

1. القرآن الكريم:

وهو مصدرها الأساس، وأوثق المصادر تعلقا بها، لأنه متواتر قطعي الثبوت، ففيه أوضح الصور عن نبينا ﷺ، وفيه أصح وصف لحقيقة سيرته وشمائله ودلائل نبوته وأخلاقه وخصائصه، وفيه أوثق تقرير لما كان عليه ﷺ سواء قبل بعثته أو بعدها[1].

وقد اشتمل على الكثير من أحداث الرسول ﷺ في العهد المكي والمدني، فهو مشتمل على قضايا ومسائل كثيرة تتصل بالسيرة النبوية، بل حتى ما يتعلق بسوابق البعثة:

فقد أشار القرآن إلى حال العرب في الجاهلية، وبيّن طفولة النبي ﷺ ويُتمَه وفَقْرَه فقال سبحانه في سورة الضحى: "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ ﴿٦﴾"[2].

وتحدث عن بعثته منذ تلقي الوحي، فقال سبحانه في سورة العلق: "ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾"[3]، وقال في سورة القيامة: "لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ"[4].

وتحدث عن حاله بعد بدء نزول الوحي كما في سورة المزمل والمدثر، ودعوته لقومه وجهاده وصبره عليهم في مكة بأساليب شتّى، قال سبحانه في سورة الأنبياء: "بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾"[5] وقال في سورة الصافات: "وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾"[6].

وهجرته إلى المدينة فقال سبحانه في سورة التوبة: "إِذَ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا "[7].

---

[1] ينظر: التجديد في عرض السيرة النبوية لمحمد يسري، ص:85، بتصرف.

[2] سورة الضحى، الآية: 6.

[3] سورة العلق، الآية: 1.

[4] سورة القيامة، الآية: 16.

[5] سورة الأنبياء، الآية: 5.

[6] سورة الصافات، الآية: 36.

[7] سورة التوبة، الآية: 40.

وحياته فيها، وأحوال مجتمعها، فقال سبحانه في سورة الأحزاب: "وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾"[1].

كما تحدث القرآن عن بعض غزواته وما جرى فيها، ومنها غزوة بدر، قال سبحانه في سورة آل عمران: "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾"[2]، وغزوة الأحزاب التي سميت سورة الأحزاب باسمها، وأيامه مع أعداء الدعوة ومناوئيها، وبين أسباب النصر والهزيمة لتكون قدوة يَتأسّى بها مَنْ بعده من الصحابة أولا، ومَنْ تبعهم على هداهم.

ولم يغفل القرآن جانب أخلاقه ﷺ وصفاته وتعاملاته مع فئام من أصناف المجتمع، مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم، فقال سبحانه وتعالى واصفا نبيه عليه الصلاة والسلام كما في سورة القلم: "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾"[3].

2. السنة النبوية:

وهي الوعاء الذي شمل ما أثر عن النبي ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات، وقد وهب الله تعالى خُدّاما للسنة النبوية حفظوها ووثقوها، ومحصوا صحيحها من ضعيفها، وهو الاهتمام الذي لم تنله السيرة النبوية، إلا ما كان من بعض الكتابات التي حاولت تنزيل قواعد المحَدِّثين على مرويات السيرة، كما فعل الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه "السيرة النبوية الصحيحة".

ورأس هذه الكتب ما ألفه إمام دار الهجرة مالك بن أنس [ت179هـ] في موطأه، وتبعه الشيخان البخاري [ت256هـ] ومسلم [ت261هـ] في صحيحيهما، ثم ما ورد بعدهما في بقية الكتب الستة من الروايات الصحيحة، وأقلها عناية بالسيرة النبوية سنن النسائي. ثم بقية كتب السنة، من المسانيد على رأسها مسند الإمام أحمد.

---

[1] سورة الأحزاب، الآية: 13.

[2] سورة آل عمران، الآية: 123.

[3] سورة القلم، الآية: 4.

وما دونه الإمام البخاري في صحيحه من أخبار السيرة أغنى وأوفر ما ورد في كتب السنة، فقد افتتح صحيحه بحديث بدء الوحي بعد حديث النية مباشرة، ثم تحدث عن قصة بئر زمزم وأنساب العرب، وبَوَّب في صفة النبي ﷺ وعلامات نبوته، وأيام الجاهلية وبناء الكعبة، وزواج النبي ﷺ وهجرته وغزواته وبعوثه وكتبه، كما تحدث عن مرضه ﷺ ووفاته.

يقول د فاروق حمادة: «إن أحاديث البخاري لو ضمت بعضها إلى بعض لخرجت منها السيرة النبوية ومعها المجتمع الإسلامي في الصدر الأول ماثلا أمام القارئ»[1].

3. كتب المغازي والشمائل والدلائل:

اشتهر عدد من الصحابة رضوان الله عليهم بالاهتمام بالمغازي والسير كابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص والبراء بن عازب، وكُتِبت كثير من أحداث السيرة على يد التابعين كعروة بن الزبير [ت94هـ]، وأبان بن عثمان [ت105هـ]، وكتب بعدهم ابن شهاب الزهري [ت124هـ] وموسى بن عقبة [ت141هـ] وابن إسحاق [ت151هـ].

وأما كتب الشمائل فهي التي تضمنت أخلاق الرسول وفضائله وسلوكه في الليل والنهار، وأشهرها ما دونه الإمام الترمذي [ت279هـ] "الشمائل النبوية"، ومنها كتاب "أخلاق النبي ﷺ وآدابه" للأصبهاني المعروف بأبي الشيخ [ت369هـ]، ومنها كتاب الشمائل للمستغفري [ت432هـ].

وأما كتب الدلائل فهي التي اشتملت على مجموعة من المعجزات التي ظهرت بين يدي الرسول ﷺ الدالة على صدق نبوته، منها دلائل النبوة لأبي الحسن الحربي [ت255هـ]، وأشهرها كتاب دلائل النبوة للأصبهاني [ت430هـ]، ودلائل النبوة للبيهقي [ت458هـ].

4. كتب التاريخ:

وهي من التصنيفات المختلطة، التي تعنى بالتأريخ للأمم والدول عامة قبل الإسلام وبعده، وقد تناولت فصولا مهمة من سيرة النبي ﷺ ومغازيه، وسيرة صحابته، وسير التابعين وغيرهم، ومن بين أهم هذه الكتب:

"فتوح البلدان" للبلاذري [ت279هـ]، و"تاريخ الأمم والرسل والملوك" للطبري [ت310هـ] وهو أشهرها، و"مروج الذهب ومعادن الجوهر" للمسعودي [ت346هـ]، و"الكامل في التاريخ" لابن الأثير [ت632هـ]، و"تاريخ الإسلام" للإمام الذهبي [ت661هـ]، و"البداية والنهاية" لابن كثير [ت774هـ].

[1] مصادر السيرة النبوية وتقويمها، للدكتور فاروق حمادة، ص:38.

ثانيا: المصادر الفرعية:

1- كتب اللغة:

وهي على قسمين، كما قسمها د فاروق حمادة، شعر ونثر:

أما الشعر فإن النبي ﷺ بعث في أمة كانت صناعة الشعر فيها مزدهرة، بل كانت عنوان هويتها، وقد دافع شاعر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت بقوة شعره على الذين يلمزون في النبي ﷺ ويهجونه ردا لدعوته.

وأما النثر فالكتب فيه غزيرة، فنجد: الجاحظ [ت255هـ] في كتابه "البيان والتبيين"، و"أدب الكاتب"، ونجد أبا عبيد القاسم بن سلام [ت224هـ] في كتابه "الغريب المصنف في علم اللسان"، وابن قتيبة الدينوري [ت276هـ] في كتابه "المعارف"، كما نجد المبرد [ت285هـ] في كتابه المشهور "الكامل في اللغة والأدب"، ونجد كذلك ابن الأنباري [ت317هـ] في كتابه "شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات".

2- كتب الأنساب والتراجم والبلدان:

وأما كتب الأنساب فهي التي تعنى بالنسب النبوي، وأنساب العرب عموما، وموضوعها بيان نسبة المترجمين إلى قبيلة أو بلدة، فمصنفو هذه الكتب قد جمعوا بين السيرة والتاريخ.

من هذه الكتب: "نسب قريش" للزبيري [ت236هـ]، و"أنساب قريش" لعبد الملك بن حبيب القرطبي [ت237هـ]، و"جمهرة نسب قريش" للزبير بن بكار [ت256هـ]، و"أنساب الأشراف" للبلاذري [ت279هـ].

وأما كتب التراجم فهي التي تترجم للجيل القرآني الذي عايَش أحداث السيرة المكرمة.

ومن أهم هذه الكتب: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" لأبي نعيم [ت430هـ]، و"الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر [ت463هـ]، و"أسد الغابة في معرفة الصحابة" لابن الأثير [ت630هـ]، و"الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر [ت852هـ].

وأما كتب البلدان فهي التي تعنى بوصف بلدان ومدن عديدة خلال فترة من فترات التاريخ، خاصة الحرمين الشريفين مكة والمدينة.

من هذه الكتب: كتاب "أخبار مكة" للأزرقي [نحو 250هـ]، و"تاريخ المدينة المنورة" لأبي زيد عمر بن شبّة [ت262هـ]، و"المغانم المطابة في معالم طابة" للفيروزآبادي [ت814 هـ]، و"العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين" لتقي الدين الفاسي [ت832هـ].

المحور الثالث: أنماط التأليف في السيرة النبوية[1]

الحديث عن منهج التأليف في السيرة النبوية يفرض علينا أن نخصص محورا للحديث عن أنماط التأليف التي سار عليها علماء السيرة، وهذه المصادر منها المفقود ومنها المخطوط ومنها المطبوع، وحديثنا في هذا المحور عن المؤلفات المطبوعة، إذ إن الإحاطة بما كتب عنه ﷺ بالعربية أمر عسير، يقول الدكتور محمد صالح المنجد في هذا الصدد: «وما كدت أبدأ عملي حتى أدركت سعته وامتداده وتشعبه وصعوبته، فالتصانيف التي خصت برسول الله ﷺ أو تتعلق به: آلافٌ مؤلفة»[2].

هذا وقد اعتنى علماء المسلمين الأوائل من محدثين ومؤرخين بهذه السيرة العطرة، كتابة وتبويبا وتحقيقا، وقد حاولت مجموعة من الدراسات كشف هذا التراث الغزير والتعريف به، وأبرزها: (معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ) للدكتور صلاح الدين المنجد، وكتاب (المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها) للدكتور محمد يسف، وقد كان لدراسة د. يسف قصب السبق خاصة في إبراز جهود علماء الغرب الإسلامي في الاعتناء بالسيرة النبوية.

وقد حاول د. مصطفى عكلي تخصيص أطروحته لإبراز جهود العلماء في نظم سيرة النبي ﷺ، حيث سمى بحثه بـ: (المنظومات العلمية في السيرة النبوية في الغرب الإسلامي)، وقد طبع العمل من لدن مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث بالرابطة المحمدية للعلماء.

وسأحول اعتبارا للمقام، الاكتفاء بذكر نماذج من كل صنف من أصناف التأليف، مقتصرا على أعلام الغرب الإسلامي:

1- مصنفات مستقلة في السير والمغازي:

1) "جوامع السيرة": لابن حزم الأندلسي (ت 456هـ).
2) "الدرر في اختصار المغازي والسير": لابن عبد البر القرطبي (ت 463هـ).
3) "الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الحافلة الكائنة في أيام الخلفاء الأول الثلاثة" لابن حبيش (ت 584هـ).
4) "الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفا": لأبي الربيع الكلاعي (ت 634هـ).
5) "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير": لأبي الفتح ابن سيد الناس اليعمري (ت 734هـ).

---

[1] ينظر: المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها، للدكتور محمد يسف.

[2] معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ، لمحمد صالح المنجد ص: 9.

2- المختصرات في السيرة النبوية:

1) "الجامع في السنن والآداب والمغازي والسير": لابن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ).
2) "اختصار السير والمغازي لابن إسحاق": لأبي زيد عبد الرحمن الصقر البلنسي (ت 523هـ).
3) "الإعلام في اختصار السيرة لابن هشام" لأبي القاسم القطي القرطبي (ت 548هـ).
4) "الدر المنظوم في سيرة رسول الله" لأبي عبد الله اللخمي المعروف بابن هشام (ت577هـ).
5) "الإشراق في اختصار السيرة لابن إسحاق": لإدريس بن إبراهيم التجيبي (ت 607هـ).

3- منظومات السيرة النبوية:

1) "نظم الدرر ونثر الزهر": لأحمد بن عيسى ابن حجاج اللخمي الإشبيلي (ق 7هـ).
2) "فريدة اللآلي": لمحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري (ت بعد 645هـ).
3) "نتيجةُ الخِيَر ومُزيلة الغِيَر في نظم مغازي رسول الله - ﷺ - والسيَر": لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى، الأنصاري التلمساني، (ت 697هـ).
4) "قرّة عين السائل وبغية نفس الآمل": لأبي جعفر أحمد بن الحسن الكَلاعي: المعروف بابن الزيات (ت 728هـ).
5) "مقصورة في السيرة النبوية": لعبد الرحمن بن علي المكودي (ت807 هـ).

4- الشروح والحواشي على كتب السيرة النبوية ومنظوماتها:

1) "الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام": للإمام السهيلي (ت 581هـ).
2) "الإملاء المختصر في شرح غريب السير": لأبي ذر الخشني (ت 604هـ).
3) "المواهب اللدنية بالمنَح المحمدية": لأبي العباس شهاب الدين القسطلاني (ت 923 هـ).
4) "مغاني الوفا بمعاني الاكتفا": للعلامة المعمَّر بن عبد السلام البناني الفاسي (ت 1163هـ).
5) "ختم المواهب اللدنية": عبد الكبير الكتاني (ت 1333هـ).

5- مصنفات في أعلام النبوة ودلائلها:

1) "أعلام النبوة ودلالات الرسالة": لأبي المطرف عبد الرحمن ابن فُطَيْس القرطبي (ت 402هـ).
2) أعلام النبوة": لأبي العباس أحمد بن عمر العذري الدلائي (ت 478هـ).

3) "شفاء الصدور في إيضاح البيان عن كشف حقائق البرهان وأعلام نبوة الرسول عليه الصلاة والسلام": للإمام الخطيب أبي الربيع سليمان بن سبع السبتي (ت نحو520هـ).
4) "خير البشَر بخير البَشر": لأبي عبد الله محمد بن أبي محمد بن ظفر الصقلي (ت 565هـ).

6- مصنفات في المعجزات النبوية:

1) "اختصار أخلاق رسول الله عليه السلام": لأبي بكر الطرطوشي (ت520هـ). اختصر فيه كتاب أبي الشيخ ابن حيان (ت369هـ).
2) "المقسط في ذكر المعجزات وشروطها": لأبي بكر بن العربي (ت 543هـ).
3) "المعجزات": لعبد الحق الإشبيلي (ت 582هـ).
4) النحو المطلوب في شمائل النبي المحبوب": لمحمد بن الطيب الشاوي البوعزاوي (ت 1332هـ).
5) "الدرة الغراء في قصة الإسراء": لأحمد بن جعفر الكتاني (ت 1340هـ).

7- مؤلفات في الشمائل النبوية:

1. "تحفة الأخيار على شمائل النبي المختار": علي بن أحمد الحريشي (ت1143هـ).
2. "شرح على الشمائل": محمد بن قاسم جسوس (ت1182هـ).
3. "شرح الشمائل النبوية": محمد بن أحمد بناني (ت 1261هـ).
4. "تعليق الحمائل فيما أغفله شراح الشمائل": عبد الله بن الطاهر بن محمد بن حمو الچرسيفي (من أهل القرن الثالث عشر).
5. "شرح على الشمائل": محمد السباعي المراكشي (ت 1332هـ).

8- مؤلفات في الخصائص النبوية:

1) "الخصائص": لأبي الربيع سليمان بن سبع السبتي (ت حوالي 520هـ).
2) "مناهج الصواب في فضل النبي والأصحاب": للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ).
3) "نهاية السول في خصائص الرسول": لأبي الخطاب بن دحية (ت 633هـ).
4) "كتاب تنبيه الأنام في بيان علو نبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام": لعبد الجليل بن محمد بن أحمد المرادي القيرواني المعروف بابن عظوم (ت 960هـ).
5) "المورد الأصفى والمشرب الأوفى في التعريف بشرف المصطفى": محمد بن أحمد الحلفاوي التلمساني (ت بعد 1119هـ).

9- مؤلفات في مسائل مفردة متعلقة بالسيرة:

1) "نسب النبي": لأبي بكر ابن العربي (ت 543هـ).
2) "الدر المنظم في مولد النبي المعظم": لأبي العباس العزَفي (ت 633هـ)، وأكمله ابنه أبو القاسم (ت677هـ).
3) "إبداء الخفا في شرح أسماء المصطفى": أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي (ت637هـ).
4) "الشرح اللطيف على منظومة النسب الشريف للنبي ﷺ": لناظمها أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي (ت 1175هـ).
5) "هدية المحبين إلى مولد سيد المرسلين": التهامي بن المدني كنون (ت 1331هـ).

10- مؤلفات في آل البيت:

1) "اللمعة في ذكر أزواج النبي وأولاده السبعة": لأبي عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الكريم التميمي الفاسي (ت 604هـ).
2) "شرح أرجوزة أحمد بن بابا العلوي الشنقيطي (ت بعد 1260هـ) في الأزواج الطاهرات، وما له ﷺ منهن من البنين والبنات": لأحد تلاميذ مولاي العربي بن السائح الرباطي (ت 1309هـ).

11- مؤلفات في مواضيع أخرى في السيرة النبوية:

1) "حجة الوداع": لابن حزم الأندلسي (ت 456هـ).
2) "كتاب النبي": لأبي بكر بن العربي (ت 543هـ).
3) "إشراق البدر في عدد أهل بدر": لأحمد بن علي البوسعيدي الهشتوكي (ت 1046هـ).
4) "الحلة السِّيراء في حديث البراء": لمحمد بن قاسم بن زاكور (ت 1120هـ).
5) "تحفة الظرفا في جمع ما في الكلاعي من الرسائل النبوية والصحابة الخلفا": لمحمد بن أحمد بن الحسن الفحصي اليحْمَدي، المعروف بابن الوزير (ت 1170هـ).

12- مؤلفات كتبت في الأنصار:

1) "نزهة الأبصار في فضائل الأنصار": للقاضي أبي بكر عتيق بن الفراء الغساني الأندلسي (ت 698هـ).
2) "لباب علم السير في نصرة الأنصار لخير مضر": لمحمد بن أحمد بن بي الجكَني (مجهول الوفاة).

المحور الرابع: المناهج العامة في التأليف في السيرة النبوية:

تنوعت مناهج المؤلفين في كتابة السيرة النبوية باختلاف اتجاهاتهم، تبعا لمنهج المؤلف العلمي وتعلقه، تنوعا يكشف عن عظمة هذه السيرة وتميزها عن باقي السير.

ومن منظور آخر يمكن القول بأن أغلب الكتابات في السيرة النبوية عند الأوائل لا تخلو من أن يكون صاحبها محدثا أو فقيها أو نحويا أو مؤرخا، أو جامعا بين الصفات.

وقد كثرت مشارب الكتابات وتنوعت مناهجها فيما بعد، فنجد المنهج الفقهي التحليلي الذي يستنبط الأحكام من الأحداث السيرية كصنيع ابن القيم [ت751هـ] في "زاد المعاد"، ونجد المنهج الموضوعي الذي يجمع الأحداث المتفقة في الموضوع الواحد فيرتبها، كمن ألف في الدلائل والخصائص والشمائل، ومنه صنيع محمد شيت خطاب [ت1419هـ] في كتابه "الرسول القائد" وهو كثير في عصرنا الحديث، ونجد المنهج الشعري وهو نظم السيرة في قصائد، وبعضهم نظم مصنفات مشهورة، كنظم مغلطاي [ت672هـ] في كتابه "الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم"، حيث نظم فيه كتاب ابن إسحاق مع تهذيب ابن هشام وكتاب السهيلي، ونجد المنهج اللغوي الذي يشرح مبهمات الألفاظ، كشأن السهيلي [ت581هـ] في "الروض الأنف"، ونجد المنهج الإداري الذي ركز على المسائل الإدارية في السيرة النبوية، كمثل صنيع عبد الحي الكتاني [ت1382هـ] في كتابه "التراتيب الإدارية".

وقد يتبادر إلى الأذهان سؤال مفاده: من السابق في تدوين السيرة، المحدث أم المؤرخ؟

الجواب عن هذا السؤال يحتم علينا تتبع التدوين خلال القرون الأولى من سلف هذه الأمة، حيث نجد أن أوائل من كتبوا في السيرة لم يؤرخوا إلا بالرواية والسند (أعني طريقة المحدثين)، وإن بدا توسع من بعضهم في استقاء مادته التاريخية قصد تكوين وإتمام صورة متكاملة متسلسلة الأحداث كابن إسحاق [ت151هـ]، بخلاف المحدث موسى ابن عقبة [ت241هـ] الذي سلك طريق تمحيص الروايات صحيحها من ضعيفها.

وبعد هذه الفترة برز علماء حاولوا المزج بين الطريقتين جمعا بين الحسنيين، كالحافظ ابن كثير [ت774هـ].

وعليه فالمناهج قسمان: القسم الأول: المنهج الإسلامي، والقسم الثاني: المنهج الاستشراقي، وسيأتي لاحقا التفصيل في كل منهج على حدة.

المنهج الإسلامي:

يتفرع عن هذا القسم ثلاثة مناهج، أولها: منهج المحدثين، ثانيها: منهج المؤرخين، ثالثا: منهج الجمع بين منهج المحدثين والمؤرخين.

أولا: منهج المحدثين:

المقصود بالمحدّث ذاك الملتزم بقواعد التحديث في كتابته للسيرة النبوية، والالتزام بقواعد الرواية وتمييز الأسانيد عن بعضها، ولا شك أن للإسناد شأنا عظيما عند المسلمين، إذ به يعرف حال الرواية والراوي، وبه تقام الحجة على أحكام الشريعة، وكان أول من استبصر خطر الإسناد ومكانته المهمة الصحابة رضوان الله عليهم، فتثبتوا في الرواية وقبولها، واستمرّ أمرهم على ذلك حتى ظهرت الفتنة، وظهرت معها الفرق المنحرفة التي لجأت إلى الوضع في الحديث موافقة لمذاهبهم وأهوائهم.

خلال هذا الوضع لجأ الصحابة رضي الله عنهم إلى التشديد في قبول الروايات، وفي هذا الصدد يقول ابن سيرين: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيأخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[1].

وقال عبد الله بن المبارك: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[2].

من هنا بدأت عناية السلف الأُول بالسيرة النبوية، فسار المؤلفون على هذا المنهج، فمنهم من اقتصر على الإسناد، ومنهم من اشترط الإسناد مع الصحة في كل ما يرويه كشأن البخاري ومسلم.

ويحسن في هذا الصدد الإشارة إلى القواعد التي اعتمدها المحدثون في قبول الرواية، وبما أن الإمام الشافعي [ت204هـ] رحمه الله يعتبر أول من صنف في علوم الحديث بشكل غير مستقل فإني أستل الشروط التي وضعها لقبول الرواية، حيث قال رحمه الله فيها:

«أن يكون مَنْ حدَّثَ به ثِقَةً في دينه، معروفاً بالصِّدق في حديثه، عاقِلاً لِمَا يُحَدِّثُ به ... حافظاً إن حدَّث به مِنْ حِفْظِه، حافظاً لكتابه إن حدَّث مِنْ كتابه ... ويكونُ هكذا مَنْ فوقَه ممَّن حدَّثه، حتى يُنْتَهَى بالحديث مَوْصُولاً إلى النبي أو إلى مَنْ انْتُهِيَ به إليه دونه، لأنَّ كلَّ واحد منهم مثْبِتٌ لمن حدَّثه، ومثبت على من حدَّث عنه، فلا يُسْتَغْنَى في كل واحد منهم عمَّا وصفْتُ»[3].

ويمكن استخلاص هذه الشروط التي ذكرها الإمام الشافعي في العبارات الآتية:

1- عدالة الراوي في دينه.

2- ضبطه لما يرويه سواء في صدره أو في كتابه.

---

[1] مقدمة صحيح مسلم، باب في أن الإسناد من الدين: 15/1.

[2] مقدمة صحيح مسلم، باب في أن الإسناد من الدين: 15/1.

[3] الرسالة، للإمام الشافعي، ص:369.

3- اتصال السند.

وقد أشار إلى شروط أخرى كعدم مخالفة من هو أولى منه، والسلامة من التدليس والانقطاع والجهالة.

وخلاصة القول: أنّ منهج المحدثين في التعامل مع المرويات يقوم على أمور ثلاثة:

- الأمر الأول: الالتزام بقواعد علم الرواية: وهي التي سبقت الإشارة إليها.
- الأمر الثاني: تقطيع الأحاديث وتخريجها في أبواب مختلفة: بأن يقطع المحدث الرواية فيأتي بأطراف الحديث في أبواب مختلفة، وتحت تراجم متباينة، قد يتعلق بعضها بالمغازي والسير، وبعضها بالعبادات، وبعضها بالفضائل وهكذا ...
- الأمر الثالث: الرواية بالأسانيد: واعتناء المحدثين بالإسناد ليس لذاته، وإنما لمصلحة المتن، فمتى صح الإسناد كان أدعى إلى اطمئنان المحدث إلى صحة ما نقله الراوي.

وخير من يمثل هذا المنهج موسى بن عقبة الذي طبق منهج المحدثين على مرويات السيرة، إذ هو من المتخصصين في المغازي، قال مالك رحمه الله: «عليكم بمغازي موسى ابن عقبة فإنه ثقة، وفي رواية: فإنه رجل ثقة، طلبها على كبر السن، ولم يكثر كما كثر غيره»[1].

وقال عنه عبد العزيز الدروي: «أما موسى بن عقبة ... فقد اتبع بدقة أسلوب مدرسة المدينة، فنجده يعكس تزايد المحدثين على الإسناد، وقد استند بالدرجة الأولى إلى الزهري- وهو أول من أكد على إسناد الحديث-»[2].

ثانيا: منهج المؤرخين:

الناظر في شروط المؤرخين الخاصة برواية الحدث السيري لا يرى لديهم شروطا خاصة، بل يظهر له تساهلهم في كثير من المرويات، إذ لا يشترطون العدالة ولا الضبط، فهم على خلاف منهج المحدثين، يقتصرون على جمع المرويات والأخبار المتعلقة بالموضوع الواحد، واستقصائها، وترتيبها زمنيا.

فالمؤرخ الذي صرف اهتمامه إلى نقل الأحداث وتصويرها من خلال نص تاريخي متكامل التفاصيل، متسلسل محكوم ببداية ونهاية، يرى أنه يسعه التخفف من الضوابط الصارمة التي وضعها المحدثون، ولو عمل بقواعد المحدث لضاع منه الكثير من أخبار السيرة، ولأصبحت عنده ثغرات وفراغات كيف سيحكمها، وهذا خاص بما لا علاقة له بالأحكام العلمية والعملية.

---

[1] المغازي الأولى ومؤلفوها، للمستشرق يوسف هوروفنتس، ص:86.

[2] نشأة علم التاريخ عند العرب، للدوري، ص:27، نقلا من مقال د باقشيش محمد بعنوان: "منهج التأليف في السيرة عند المحدثين –موسى ابن عقبة نموذجا-" .

يقول د أكرم ضياء العمري: «لا شك أن اشتراط الصحة الحديثية في كل رواية تاريخية نريد قبولها فيه تعسف، لأن ما تنطبق عليه هذه الشروط لا يكفي لتغطية العصور المختلفة للتاريخ الإسلامي، مما يولد فجوات في تاريخنا»[1].

ويقول في موضع آخر: «والواقع أننا لو عاملنا الروايات التاريخية بهذه الشدة فإن معظم المادة التاريخية تسقط وتقع فراغات واسعة في تاريخنا، لأن معظم الأخباريين الذين نقلوا إلينا المادة التاريخية لا يرقون إلى مستوى الثقات عند المحدثين»[2].

وأصل هذا التساهل حديث النبي ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[3]، وكل ما ينقل عن بني إسرائيل لا إسناد له، وفيه ما يدخل في باب الزهد والرقائق، وهو من باب الرواية فقط لا من باب الاحتجاج.

ويمثل هذا المنهج من المتقدمين محمد بن إسحاق الذي بالغ في تقصي الحقائق مع الإطناب والطول، فقد جمع بين أسلوب المحدثين والقصاص في كتاباته، ثم إن المصادر التي يعتمدها نجدها من اتجاهات مختلفة، فلم يقتصر ابن إسحاق على علماء المسلمين المعروفين في الحديث والمغازي، بل رجع إلى غير المسلمين، ويورد أخبارا عن الحوادث اليهودية والمسيحية وغيرها. هذا بخلاف مدرسة المحدثين التي عرفت بأمانة مصادرها، والاكتفاء بعلماء المسلمين المعروفين[4].

وهذا الإمام الذهبي رحمه الله يقارن فيه بين كتابة كل منهما أعني: (موسى بن عقبة وابن إسحاق) قال رحمه الله: «لا ريب أن ابن إسحاق في مغازيه قد كثر وطول بأنساب مستوفاة، اختصارها أملح، وبأشعار غير طائلة، حذفها أرجح، وبآثار لم تصحح، مع أنه فاته شيء كثير من الصحيح، لم يكن عنده، فكتابه محتاج إلى تنقيح وتصحيح ورواية ما فاته، وأما مغازي موسى بن عقبة، فهي في مجلد ليس بالكبير، سمعناها، وغالبها صحيح ومرسل جيد، لكنها مختصرة، تحتاج إلى زيادة بيان وتتمة»[5].

المقارنة بين المنهجين:

1- علة التفاوت بين المنهجين:

أبرز الأسباب الكامنة وراء الاختلاف بين منهج المحدثين والمؤرخين في رواية أخبار السيرة تتجلى في الآتي:

---

[1] السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم ضياء العمري: 45/1.

[2] مرويات السيرة، للدكتور أكرم ضياء العمري، ص:51

[3] أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم: 3461، 170/4.

[4] ينظر: المغازي الأولى ومؤلفوها، للمستشرق يوسف هوروفنتس، ص:88، بتصرف.

[5] سير أعلام النبلاء، للذهبي: 45/1.

- كون غرض المحدث جمع الأدلة التي يستنبط منها الحكم الشرعي، فهم على هذا يشددون في قبول الروايات، وأما أهل التأريخ فاهتمامهم بالسيرة أوسع من استنباط الأحكام، حيث يركزون على رواية الأخبار المتعلقة بتحديد مواقع الغزوات، وتواريخها، وأسماء من حضرها، وقبائلهم، وخيلهم ومراكبهم، وتفاصيل دقيقة لا ينبني عليها حكم شرعي.
- كون التفاصيل الدقيقة التي لا ينبني عليها حكم شرعي إن لم يجدها المؤرخ عن شيخه عدل عنه إلى آخر يرويها له بأسانيد قد لا تصل درجة الصحة عنده، لأجل استكمال الحدث السيري بتفاصيله التامة، كي لا يفقد كثيرا من مصادره العلمية.
- كون الأخذ المجرد عن الراوي الضعيف لا يضير، إنما الذي يضر الراوي أن يروي عن شيخه الضعيف، وقد قال أبو حاتم الرازي: «إذا كتبت فقمش وإذا حدثت ففتش»[1]، فيغتفر في الطلب ما لا يغتفر في الأداء.
- انفراد الإخباريين بروايات كثيرة غريبة، مما يؤثر غالبا في صاحبها، وهي من أسباب ضعفه، وقد قال علي رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[2]، وأُثر عن ابن مسعود أنه قال: «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة»[3]، وقال مالك رحمه الله: «شر العلم الغريب»[4].

2- أوجه الاتفاق بين المنهجين:

كلا المنهجين يعتمد على الإسناد في نقل المرويات، لكن درجة العناية بالإسناد تختلف بينهما؛ فالمحدثون أشد اهتماما بالإسناد من المؤرخين وأشد تحريا له، فلا يكادون يرْوُون خبرا بدون إسناد، أما المؤرخون فيروون المرويات المسندة بأسانيدها، وما لم يجدوا له سندا أخرجوه في كتبهم، لذلك كثرت عندهم المعضَلات[5] والمنقطِعات والمعلَّقات وما ليس له سند إلى جانب الروايات الصحيحة والحسنة[6].

---

[1] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي: 220/2.

[2] أخرجه البخاري موقوفا عن علي رضي الله عنه، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية ألا يفهموا، برقم: 127، 37/1.

[3] تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي: 580/2.

[4] تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي: 634/2.

[5] المعضَلات بالفتح جمع المعضَلة، على وزن المحصَنة، وهو عند أرباب الحديث لقب لنوع خاص من المنقطع، فكل معضل منقطع، وليس كل منقطع معضلا، وهو عبارة عما سقط من إسناده اثنان فصاعدا، ينظر: المقدمة، لابن الصلاح، ص: 59، أما المعضِلات بالكسر فجمع معضِلة، على وزن مشكلة، يقال نزلت بفلان معضلة، أي: مصيبة، فالمعضِلة عندهم بمعنى الشدائد، ينظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ص: 1033، بتصرف.

[6] مقال بعنوان: "محددات منهجية لنقد أخبار السيرة النبوية" للدكتور رشيد كهوس، منشور بمجلة المدونة، م4/ع14، 2017.

3- أوجه الاختلاف بين المنهجين:

أ- سرد الحوادث: فكُتاب السيرة من المؤرخين يعرضون الحادثة في موطن واحد في ترتيبها الزمني، فينظرون إلى الحادثة كأنها لبنة من اللبنات المكونة للسيرة توضع في مكانها، بخلاف المحدثين الذين يفرقون الحادثة في عدة مواضع، تبعا للاستدلال بها.

ب- تأريخ الحدث: وهذا أمر أولاه المؤرخون اهتمامهم الكبير وعنايتهم الفائقة ليتمكنوا من ترتيب الأحداث زمنيا، يقول الصفدي في وفياته: «جرت عادة المورخين أنهم يرتبون مصنفاتهم إما على السنين وهو الأليق بالتاريخ؛ لأن الحوادث والوقائع تجيء فيه مرتبة متتالية، ومنهم من يرتبها على الحروف وهو الأليق بالتراجم»[1]، بخلاف المحدثين الذين قل اهتمامهم بهذا الأمر، ولربما استعانوا بكتابات المؤرخين ليستفيدوا منها خاصة في تأريخ الغزوات والسرايا.

ت- تدوين المسائل الفرعية: كذكر أسماء من شارك في أحداث السيرة والغزوات وإحصاء عددهم، بخلاف المحدثين، إلا ما كان من الإمام البخاري الذي خص في كتاب المغازي من صحيحه بابا بعنوان: "باب تسمية من سمي من أهل بدر".

ث- وصف رواة أهل السير: فالمؤرخون لا يكاد يوجد عندهم شرط لمن يروون عنه، بخلاف المحدثين الذي غالب شأنهم اشتراط شروط فيمن يروون عنه أحداث التاريخ والسيرة، كاشتراطهم أعلى درجات الصحة، مثل ما صنع الشيخان.

يقول ابن الصلاح مبينا صفة من تقبل روايته، ومن ترد، وما يتعلق بذلك من قدح وجرح وتوثيق وتعديل: «أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلا ضابطا لما يرويه؛ وتفصيله: أن يكون مسلما، بالغا، عاقلا، سالما من أسباب الفسق وخوارم المروءة، متيقظا غير مغفل، حافظا إن حدث من حفظه، ضابطا لكتابه إن حدث من كتابه، وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالما بما يحيل المعاني والله أعلم»[2].

4- نتيجة الاختلاف بين المنهجين

أ- كثرة الأحاديث الضعيفة: يقول الإمام أحمد: «ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير»[3]، يقول د. أبو شهبة معلقا على كلام الإمام أحمد: «ومراده أنه يغلب فيها رواية

---

[1] الوافي بالوفيات، للصفدي: 53/1.

[2] معرفة أنواع الحديث -المقدمة-، لابن الصلاح، ص:212.

[3] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، 162/2.

المراسيل، والمنقطعات، والبلاغات ونحوها، وإلّا فقد صحّ فيها أحاديث كثيرة»[1]، ويقول الحلبي في سيرته: «ولا يخفى أن السير تجمع الصحيح والسقيم والضعيف والبلاغ والمرسل والمنقطع والمعضل دون الموضوع»[2].

ب- كثرة غريب السيرة: وهو ما انفرد المؤرخ بروايته، قال ابن سيد الناس عن الواقدي: «سعة العلم مظنة لكثرة الإغراب، وكثرة الإغراب مظنة للتهمة، والواقدي غير مدفوع عن سعة العلم، فكثرت غرائبه»[3]، ومما تفرد به ذكر السرايا التي بعثها النبي ﷺ في السنة 6هـ قبل غزوة الحديبية، قال البيهقي: «باب ذكر السرايا التي كانت في سنة ست من الهجرة فيما زعم الواقدي»[4]، وقال الذهبي: «وفيها (يقصد السنة السادسة) كان من السرايا، على ما زعم الواقدي...»[5].

ثالثا: منهج الجمع بين طريقة المحدثين وطريقة المؤرخين:

اتصف بعض المؤلفين بالجمع بين صفتي المحدث والمؤرخ كابن إسحاق، وابن جرير الطبري، فأفادوا من منهج المحدثين بالتزام سرد الأسانيد، ومن منهج المؤرخين باستكمال صورة الحدث المروي، يقول د. محمد السلمي: «وهذا المنهج الذي سلكه ابن إسحاق حاول أن يجمع فيه بين منهج المحدث القائم على الأسانيد لغرض التوثيق العلمي، ومنهج الإخباريين المتحررين من الالتزام بالأسانيد ... ولعله كان يهدف إلى إخراج السيرة النبوية في صورة مترابطة الأجزاء، متسلسلة الأحداث، ليسهل على الناس حفظها»[6].

ويقول د. أكرم ضياء العمري: «المطلوب اعتماد الروايات الصحيحة وتقديمها ثم الحسنة ثم ما يعتضد من الضعيف لبناء الصورة التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام ... وعند التعارض يقدم الأقوى دائماً ... أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى أو تعتضد فيمكن الإفادة منها في إكمال الفراغ الذي لا تسده الروايات الصحيحة والحسنة على ألا تتعلق بجانب عقدي أو شرعي، لأن القاعدة "التشدد فيما يتعلق بالعقيدة أو الشريعة»[7].

---

[1] السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، للدكتور محمد أبو شهبة: 31/1.

[2] إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، للحلبي: 3/1.

[3] عيون الأثر، لابن سيد الناس: 24/1.

[4] دلائل النبوة، للبيهقي: 82/4.

[5] تاريخ الإسلام، للذهبي: 351/2.

[6] منهج كتابة التاريخ الإسلامي، للدكتور محمد السلمي، ص:389.

[7] السيرة النبوية الصحيحة، للدكتور أكرم ضياء العمري: 40/1.

وهذا المنهج نفسه سلكه المحدثون في التعامل مع الحديث، يقول الإمام ابن مهدي: «إذا روينا، عن النبي ﷺ في الحلال، والحرام، والأحكام، شددنا في الأسانيد، وانتقدنا الرجال، وإذا روينا في فضائل الأعمال والثواب، والعقاب، والمباحات، والدعوات تساهلنا في الأسانيد»[1].

المنهج الاستشراقي:

يمثل هذا المنهج "المستشرقون": وقد اعتمدوا في كتاباتهم منهجا آخر مخالفا لما سبق، مواتيا لمعتقداتهم، وصفوا من خلاله النبي ﷺ بصفات بشرية عامة، كالبطل، والعبقري، والعظيم، والقائد ... وغيرها من الأوصاف التي توهم المدح، وباطنها وقصدها الأساس تجريده ﷺ من صفة النبوة، ويُؤَوِّلون مسألة النبوة وما ينتج عنها بتأويلات مادية تخدم خلفياتهم، فكتاباتهم غالبا تكون خالية من الموضوعية، فهم لا يؤمنون بالنبوة، لذلك لجأوا إلى هذه المصطلحات الموهمة في ظاهرها بالتعظيم، وفي باطنها بالهوان.

يقول د البوطي رحمه الله: «فينوهون بعظمته وصفاته الحميدة، بعيدا عن كل ما قد ينبه القارئ إلى شيء من معنى النبوة أو الوحي في حياته، وبعيدا عن الاهتمام بالأسانيد والروايات التي قد يضطرهم الأخذ بها إلى اليقين بأحداث ووقائع ليس من صالحهم اعتمادها أو الاهتمام بها»[2].

ومن مناهجهم في الكتابة الاكتفاء بالقرآن، وقد تفشت فيما بعد إلى كُتاب المسلمين المعاصرين كمثل اتجاه حسين هيكل في كتابه "حياة محمد"، الذي يقول في ثنايا كلامه عن منهجه: «إنني لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث، ولم أنهج في التعبير عن مختلف الحوادث نهجها، لأنني فضلت أن أَجري في هذا البحث على الطريقة العلمية، وأكتبه بأسلوب العصر»[3].

ومن هؤلاء من يتلطف فيقول: إنه ما دام القرآن آية دالة على صدق النبي ﷺ، فنحن في غنية عن غيره من الآيات، ولا سيما والكثير منها لم يثبت إلا بالطرق الأحادية التي لا تفيد اليقين، ومنهم من يجاهر فينكر المعجزات الحسية جملة!![4].

ومن نماذج الاستشراق الذي أورده حسين هيكل: تفسيره لبعض الخوارق تفسيرا ماديا يوافق العقل البشري والعلم الحديث، كتأويله لرحلة الإسراء المعراج، بأنها لم تكن بجسده الشريف، وإنما هي رؤيا منامية ورحلة روحية[5]، كذلك نفيه لحادثة شق الصدر رغم ثبوتها في صحيح مسلم، قال: «لا يطمئن المستشرقون

---

[1] المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، 666/1.

[2] فقه السيرة، للدكتور رمضان سعيد البوطي، ص:12.

[3] حياة محمد، لحسن هيكل، ص:39.

[4] السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، للدكتور محمد أبو شهبة: 23/1.

[5] ينظر: حياة محمد، لحسن هيكل، ص:128، بتصرف.

ولا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك إلى قصة الملكين هذه ويرونها ضعيفة السند. فالذي رأى الرجلين في رواية كتّاب السيرة إنما هو طفل لا يزيد على سنتين إلا قليلا، وكانت كذلك سن محمد يومئذ»[1]، وكذلك في حديثه عن تغسيل النبي ﷺ أنه خرجت منه رائحة ذكية، قال: إنما كانت بسبب كثرة الطيب الذي كان يضعه.

من المستشرقين كذلك كارل بروكلمان الألماني، صاحب كتاب "تاريخ الشعوب الإسلامية"، ومن مغالطاته: حديثُه عن الإسراء والمعراج، فيقول: «في هذه الأثناء كان مسلمو مكة، على ما تقول الروايات يعانون أزمة جديدة، ذلك أن حديث محمد عن إسرائه العجيب، برفقة جبريل إلى بيت المقدس، ومن ثم إلى السماء، كان قد أوقع موجة من الشك في نفوس بعض المؤمنين، ولكن أبا بكر ضرب بإيمانه الراسخ مثلا طيبا لهؤلاء المشككين، فزايلهم الريب والظنون ... ومن الجائز أن تكون هذه الرحلة السماوية-التي كثيرا ما أشير إليها في الأساطير الغربية؛ التي خلفتها لنا الكتب الإسلامية جميعها- أقدم من ذلك عهدا، ولعلها ترجع إلى الأيام الأولى للبعثة النبوية، وأمثال هذه الرؤى في أثناء تهجد العراف معروفة ثابتة لدى بعض الشعوب البدائية»[2].

من خلال ما ذكر يتبين للناظر إنكار المستشرقين لمسمى المعجزات الربانية، ومنه تمرير المغالطات في إيقاع الشك على المؤمنين بدل المشركين، والذي قد دلت النصوص الصريحة على أنهم أتوا أبا بكر رضي الله عنه يعلمونه أمر ما حدثهم به صاحبه ﷺ، فقلب المستشرق بروكلمان حقيقة الاستغراب، لصالح أموره التي يؤسس لها.

إن المستشرق حينما يكتب في السيرة، لا يكتب توخيا لإثبات الحقائق، وإنما لإثبات أشياء آمن بها سلفا، هذا بحكم النشأة الأولى، فنشأة عدد من المستشرقين في كنف الغرب وثقافته، وطريقته في التفكير المتشبع بروح الفكر المادي العلماني، لا يمكن أن ينتج دراسات تتوخى الحقيقة لإثباتها.

أكبر من هذا أن تجد من ينتسب إلى دائرة الإسلام يتبنى هذا المنهج في دراسته للسيرة النبوية، أعني سيد محمود القمني في كتابه "حروب دولة الرسول"، يقول في معرض حديثه عن مشورة الأنصار في غزوة بدر: «وهكذا تحول اتفاق الأنصار مع النبي في العقبة الثانية إلى غايته المضمرة، وأدرك الأنصار أنه قد آن الأوان للإفصاح عن كامل بنود ذلك الحلف، التي وعوها مبكرا في قولهم للنبي ﷺ: "إن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا»[3].

---

[1] حياة محمد، لحسن هيكل، ص:80.

[2] تاريخ الشعوب الإسلامية، للمستشرق كارل بروكلمان: 44

[3] حروب دولة الرسول، لسيد محمد القمني: 66/1.

يقول أبو شهبة: «ومن عجيب أمر المبشرين والمستشرقين أنهم في سبيل إرضاء أهوائهم، ونزواتهم الجامحة، وأحقادهم الموروثة يصحّحون الروايات المكذوبة، والإسرائيليات المدسوسة، ما دامت تسعفهم وتساعدهم على باطلهم، على حين نجدهم يحكمون على روايات صحيحة، بل في أعلى درجات الصحة بالوضع والاختلاق؛ لأنها لا تؤيدهم فيما يجترحون من طعون، وتجن أثيم على مقام النبي وآل بيته»[1].

أختم هذا المبحث بقول د. عيسى عبد الراضي محمد: «إن الاستشراق ما كان ليظهر وينمو لولا عجز المسلمين أنفسهم عن الوصول إلى العقل الغربي ومحاولة تشكيله وفق النسق المعرفي الإسلامي الصحيح، أو على أسوأ الفروض تحييد موقفه تجاه الإسلام»[2].

[1] السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، لأبي شهبة: 15/1.

[2] مقال "السيرة النبوية بين أغلاط المؤرخين وافتراءات المستشرقين"، للدكتور عيسى عبد الراضي محمد، منشور بمجلة الدراسات العربية، ع11/مج 1،2005.

خاتمة:

ختاما أقول: إن التعامل مع مصادر السيرة يحتاج إلى علوم كثيرة، ففي السيرة النبوية مباحث عقدية وفقهية ولغوية وتاريخية وغيرها، فأمر السيرة النبوية ليس بالأمر السهل، بل يحتاج إلى دقة ومنهج.

وبهذا يمكن القول بأن السيرة النبوية لابد لها من رجلين (محدث ومؤرخ) لكل منهما دور واختصاص: فالمحدث يجتهد بصنعته الحديثية لتحقيق المرويات التي تبنى عليها عقائد المسلمين وشريعتهم، فيتحرى الروايات صحيحها من سقيمها، ويعرضها على قواعده، ليصل إلى استنباط الأحكام (عقدية أو شرعية)، والمؤرخ يستل الأحداث السيرية من مصادرها ويرتبها حسب مواضيعها دون التعرض للأحكام، فكل غايته بناء صرحٍ متكامل يعطي صورة واضحة.

فكأن المحدث هو المعول عليه أساسا في تشييد البناء السيري، إذ لا تساهل في اختصاصه، ليأتي المؤرخ بتكميل البناء مما ليس له تعلق بالعقيدة والأحكام.

ونسبة السيرة إلى المحدث والمؤرخ نسبة إلى عِلمين كبيرن: (علم الحديث وعلم التاريخ)، فنسبته للحديث باعتبار كون السيرة داخلة تحت مفهوم السنة النبوية، ونسبته للتاريخ باعتبار سيرة النبي ﷺ أعظم مرحلة زمنية في التاريخ البشري.

ومن الخلاصات التي يمكن أن نستفيدها من خلال ما سبق:

- ضرورة استحضار التثبت والضبط في الإفادة والتعامل مع النصوص السيرية، لما لها من أثر في تخريج الأحكام واستنباط الفقه منها، وعليه فإنه يلزم عرض المرويات السيرية على القرآن والسنة الصحيحة وحوادث التاريخ الصحيحة.
- عظم السيرة النبوية التي شغلت المسلمين في ضرورة اعتماد الإسناد فيها، وأن الإسناد في ديننا ضروري، وهو ميزة لهذه الأمة المحمدية.

هذا آخر ما يمكن قوله، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والحمد لله أولا وآخرا.

لائحة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، لشمس الدين الذهبي (ت: 748هـ)، تح: د. بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط: 1، 2003 م.
2. تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان، نقلها إلى العربية: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط: 5، 1968، دار العلم للملايين-بيروت-.
3. التجديد في عرض السيرة النبوية مقاصده وضوابطه، د. محمد يسري، ط: 1، 2009م، دار اليسر.
4. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين السيوطي، (ت: 911هـ)، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.
5. التعريفات، لعلي الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط: 1، 1403هـ-1983م.
6. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، تح: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض.
7. حروب دولة الرسول، لسيد محمود القمني، مكتبة مدبولي الصغير، ط: 2، 1996م.
8. الحوار في السيرة النبوية، د. محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع -السعودية-، ط: 2، 2013م.
9. حياة محمد، لمحمد لحسن هيكل، (ت: 1376هـ)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
10. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، للبيهقي (ت: 458هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1405 هـ.
11. الرسالة، للشافعي (ت: 204هـ)، تح: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ط: 1، 1358هـ/1940م.
12. سنن أبي داوود، لأبي داود السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
13. سير أعلام النبلاء، للذهبي (ت: 748هـ)، دار الحديث القاهرة، ط: 1427هـ-2006م.
14. سيرة ابن هشام، ابن هشام (ت: 213هـ)، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: 2، 1375هـ - 1955 م.
15. السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، ابن برهان الدين الحلبي، (ت: 1044هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 2 - 1427هـ.

16.السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، مركز بحوث السنة والسيرة دولة قطر، ط : 1991 م.
17. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة، (ت: 1403هـ) ط: دار القلم - دمشق-، 2، 1992م.
18. صحيح البخاري - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للبخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: 1، 1422هـ
19. صحيح مسلم -المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ-، للإمام مسلم (ت: 261هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
20. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس، (ت: 734هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم – بيروت، ط: 1، 1414هـ/1993م.
21. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، لمحمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر – دمشق، ط: 25، 1426 هـ
22. القاموس المحيط، الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: 8، 1426 هـ - 2005 م.
23. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، (ت: 1094هـ)، تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
24. لسان العرب، لابن منظور (ت: 711هـ)، دار صادر – بيروت، ط: 3 - 1414 هـ
25. مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الأخباريين، د. أكرم ضياء العمري، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
26. مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، د. عبد الرزاق هرماس، بحث مقدم لنيل جائزة نايف عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة عام 2007، ط: 1، 2007م.
27. مصادر السيرة النبوية وتقويمها، د. فاروق حمادة، دار الثقافة، ط: 1، 1980م.
28. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم (ت: 405هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1411 – 1990.
29. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي (ت: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.
30. المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني (ت: 211هـ)، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي- الهند، بيروت، ط: 2، 1403.

31. معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ، لصلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد بيروت لبنان، ط: 1، 1982م.
32. معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، لابن الصلاح (ت: 643هـ)، تح: نور الدين عتر، دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر – بيروت، 1406هـ - 1986م.
33. المغازي الأولى ومؤلفوها، للمستشرق يوسف هوروفنتس، ترجمة د حسين نصار، مكتبة الخانجي - القاهرة-، ط: 2: 2001م.
34. مقال بعنوان: "السيرة النبوية بين أغلاط المؤرخين وافتراءات المستشرقين" د عيسى عبد الراضي محمد، منشور بمجلة الدراسات العربية، ع11/مج 1،2005.
35. مقال بعنوان: "محددات منهجية لنقد أخبار السيرة النبوية" د رشيد كهوس، منشور بمجلة المدونة، م4/ع14، 2017م.
36. مقال بعنوان: "منهج التأليف في السيرة عند المحدثين –موسى ابن عقبة نموذجا-" د. محمد باقشيش.
37. مناهج البحث العلمي، لعبد الرحمن بدوي، الناشر: وكالة المطبوعات -الكويت-، ط: 3، 1977م.
38. منهج كتابة التاريخ الإسلامي مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، للدكتور محمد بن صامل السلمي، دار ابن الجوزي -القاهرة-، ط: 1، شوال 1429هـ.
39. المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها، للدكتور محمد يسف، ط: 1992م.
40. الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريف العلوم، د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي -القاهرة-، ط: 1: 1985م.
41. الوافي بالوفيات، الصفدي (ت: 764هـ)، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:1420هـ- 2000م.